

المصباح

١٣١٥

في يوم السبت ٥ ربيع الثاني سنة ١٣١٧ الموافق ١٢ أغسطس (آب) سنة ١٨٩٩

﴿ الجامعة الاسلامية ﴾

(وآراء كتاب الجرائد فيها)

أول من كتب وخطب في بيان أحوال المسلمين الاجتماعية وتمثيل
أمراضهم ودلائلهم على علاجها وارشادهم الى الاتحاد وجمع الكلمة حكيم
الامة الكبير وفيلسوفها الشهير السيد جمال الدين الحسيني الافغاني (تعلمه
الله تعالى برحمته) فانه كان قد وقف نفسه على تكوين ما نسميه اليوم (الجامعة
الاسلامية) وكان اكثر سعيه لها من الطريق الاقرب - طريق نبيه
الحكومات المسلمة المستقلة الى الاتحاد

ولكن أباهما الحاكمون فكاره * لها جاهل أو مكره وهو عالم
ثم أشرب في قلبه مذهبه هذا الحكيم الثاني صاحب الفضيلة الشيخ
محمد عبده مفتي الديار المصرية لهذا العهد (كما المعنا الى ذلك في عدد سابق)
ولم يدع الرجالن باباً للاصلاح الاسلامي الا طرقاه وقد بدأ بباب السياسة
فكتبها وخطبها ماشاء الله ان يكتبها ويخطبها فمأت النتيجة كما طلبا ورغبا ثم استقر
رأيهما على ان هذه الامة بالدين وجدت وتكونت وبالدين سادت وعزت

ومن قبل الدين (اي الاعراض عنه) أخذت وابتزت ومن قبله ضعفت
وذلت . وبه يرجع اليها مجدها . ومن أفقه بزغ كوكب سعدها . فأنشأ جريدة
(العروة الوثقى) لدعوة المسلمين الى الوحدة الصحيحة وان يجعلوا امامهم
الاعظم القرآن الحكيم . أرشدت هذه الجريدة العلماء الى امارة البدع واحياء
السنن كما أرشدت الملوك والامراء ولا سيما المختلفين في المذاهب (كأهل
السنة والشيعة) الى الاتحاد والاتفاق وان لا يجعلوا الخلاف الفرعي في الدين
من اسباب التفرق والانقسام الذي يقضي على الجميع . نهت وحذرت .
وبشرت وأندرت . بكلام اصاب مواقع الوجدان . وبراهاين ملكت قياد
الجنان . فاهتز لها العالم الاسلامي هزة لو طال عليها المهدي لزلزلت لها الارض
زلزالا . ولنفر المسلمون الى الاتحاد خفافا وثقالا . قال الاستاذ المفتي محرر
الجريدة حدثني بعض اهل العلم من بغداد قال كنا نقرأ العدد من العروة الوثقى
في مجلس السيد سلمان افندي تقيب السادة الاشراف فيتفق رأينا على انه لا بد ان
يظهر في العالم الاسلامي عمل كبير قبل ان يصدر العدد الذي بعده هذا . ونقل نحو
هذا القول عن بعض فضلاء الغرب والشرق . وسمع كاتب هذه السطور الاستاذ
الشيخ حسين افندي الجسر مؤلف الرسالة الحميدية يقول ما مثاله لو طال الامد على
جريدة العروة الوثقى لحدث في العالم الاسلامي انقلاب مهم ولهب المسلمون من
رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجد آبائهم وأجدادهم . ولقد بلغ من غرام نبهاء المسلمين
بهذه الجريدة ان حفظها بعضهم عن ظهر قلب وبعضهم يحفظ نسخها الاصلية
وبعضهم كتبها فلم يغادر منها شيئا وهم يميذون تلاوتها ويسترشدون بها آنا
بعد آن . يحفظها اكابر العلماء في الشرق والغرب وانني وجدت كل ما فاتني
من اعدادها عند فضيلة الاستاذ الجسر فنسختها من عنده . وحدثني الفاضل

صاحب جريدة ثمرات الفنون انه يحفظها في صندوق الحديد حيث يحفظ
 آمن ما يملك . وبالجملة كانت العروة الوثقى قبسا من نور القرآن ونفخة من
 روحه وجدولا من ينبوعه . ظهرت في ضوءها العملة والمعلول . وانتعشت
 بانتشاقها مشام العقول . ورويت من معين نصابها الأكباد . حتى رجي ان
 تكون (وهي العروة الوثقى) رابطة الأتحاد . وقد خافت الدولة الانكليزية
 يومئذ مغبة الامر . ولم تكن اقدامها قد استقرت في مصر . فحملت حكومة
 مصر على منعها من دخول البلاد المصرية . كما منعتها هي من البلاد الهندية .
 وكان هذان القطران أهم موارد امدادها . ومعاهد امدادها . فبطلت وهيئات
 ان ننصم عروة تعليمها وارشادها

ظهرت العروة الوثقى في جمادى الاولى سنة ١٣٠١ وكل ما صدر منها
 ١٨ عددا ثم مرت فترة من الزمن لم تذكر فيها الشؤون الاسلامية العامة
 في الجرائد الا ما يجيء في عرض القول أو يصيبها من رشاش أقلام غير أهلها
 من الكتاب مما لا يروي غليلا ولا يغني قليلا حتى أنشأ نابغة الخطباء والكتاب
 السيد عبد الله نديم المصري الشهير مجلة (الاستاذ) في اوائل سنة ١٣١٠
 وكتب فيها المقالات الطنانة الرنانة في تنبيه المسلمين الى الاخطار المحدقة بهم
 وبسائر الشرقيين ونشيطهمهم لتلافيها الا ان بيئة النديم « حاله ومحلّه »
 وزمنه وسياسته اقتضت ان يكون اكثر خطابه عاما للشرقيين وفي كليات
 الامور الاجتماعية وان لا ينحى باللوم على الرؤساء من الامراء والحكام والعلماء
 والمرشدين فكانت فائدة كلامه في التنبيه المطلق وفي جزئيات وطنية وأدبية
 وفروع دينية وكان كلامه مؤثرا فيما نقل اليه فلو بقي لحدث في مصر تأثيرا
 سياسيا ادبيا له شأن . ولكن أخرج النديم من مصر بدعوى ان جريدته

ننفع روح التعصب الديني وثنفت سموم الثورة ولم يكن تم لها سنة ولقد قرأت منها اعدادا في سوريا رأيت يحترس فيها كل الاحتراس من الوقوع في هاتين التهمتين وانما ينفع الاحتراس بالنسبة للمؤاخذه القانونية دون المؤاخذه السياسية التي اخذها

فقر بعد (الاستاذ) الكلام الذي يرمي الى (الجامعة الاسلامية) حتى وفقنا الله تعالى في العام الماضي لانشاء « المنار » لاجياء تعاليم العروة الوثقى فوضعنا قاعدته على اساسها وأضأنا وقته بنبراسها الا ما كان فيهامن السياسة التي تتعلق بالمسئلة المصرية والتحرير على الانكليز فان هذا امر ذهب بذهاب وقته والعروة الوثقى نفسها صرحت مراراً بان تلك الفرصة اذا ذهبت لا تكاد تعود ويستقر قدم الانكليز في مصر وقد كان. ولكنها قالت في شأن النهضة الاسلامية الاجتماعية المطلقة التي كانت تعمل لها مانصه (ان الرزايا الاخيرة التي حلت باهم مواقع الشرق جددت الروابط وقاربت بين الاقطار المتباعدة بحدودها المتصلة بجامعة الاعتقاد بين ساكنيها فابقظت افكار العقلاء وحوات انظارهم لما سيكون من عاقبه امرهم مع ملاحظه العلل التي ادت بهم الى ما هم فيه فتقاربوا في النظر وتواصلوا في طلب الحق وعمدوا الى معالجة المرض وعلل الضعف راجين ان يسترجعوا بعض ما فقدوا من القوة ومؤملين ان تمهد لهم الحوادث سبيلا حسنا يسلكونه لوقاية الدين والشرف وان في الحاضر منها لتهزة تعتم واليها بسطوا اكفهم ولا يخالونها نفوتهم ولئن فانت فكم في الغيب من مثلها وال الله عاقبة الامور) اه من مقدمة العدد الاول. ولا ريب ان المسئلة المصرية ليست في هذا العام كما كانت في سنة ١٣٠١ (١٨٨٤م) اما المسئلة الاسلامية فهي بل تقدمت

الى الامام بالنسبة الى ما كانت عليه في ذلك العام
قلنا ان المنار وافق العروة الوثقى في تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التي
وضعتها للوحدة الاسلامية وخالفها في وجهتها السياسية المصرية ونقول ايضا
انه زاد عليها البحث في جزئيات البدع وتفصيل القول في التعاليم الفاسدة
والمقائد الزائفة والتربية المفيدة ونحو ذلك مما ارشدت اليه اجمالا ولم يتسع
معها الزمان لتفصيله . ولهذا يقول قراء المنار انه لم توجد قبله جريدة في
موضوعه . وقد اعترف لنا الكتاب المسلمون والمسيحيون ومن هؤلاء اصحاب
المقطف والمقطم وصاحب الاهرام وصاحب الهلال باننا تصدينا لخدمة نافعة
ولكن اصحاب المقطم كانوا يقولون لنا ان من الضروري ان يطلب المنار من
القوة الحاكمة الاصلاح السياسي كما يطالب اهل العلم والدين بالاصلاح
الديني وصاحب الاهرام كان يقول لنا ان في طريق هذه الخدمة خطرا عظيما
وهو مقاومة أوروبا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى من وجهة الدين وقد
كاشف برأيه هذا بعض اكابر علماء الاسلام العارفين بالسياسة منذ بضعة
اشهر فراجعوا العالم القول وكتب يومئذ صورة المذكرة في الاهرام واجتمع
به كاتب هذه السطور بعد ذلك وكنت في صحبة الاستاذ صاحب المؤيد
ففتح باب المذكرة في المسئلة وكان الكلام مشتركا ولم تنفق معه على نتيجة
واحدة . أما صاحب الهلال فاننا لم نر منه الا استحسانا وتحبيذا وابتانة عن
اعتقاد ان هذه الخطة لا تنفع منها للمسلمين ومثله كتاب دائرة المعارف وغيرها
من افاضل المسيحيين المنصفين . وفي هذه السنة كثرت الكتابة في نبيه
المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين في الشرق
والغرب ومنهم الفقير منشى هذه المجلة وبعض تلك المقالات عرب من

جريدة (محمدان) الهندية . وكتبت مجلة الموسوعات ايضاً عدة مقالات
 لكتاب متعدد دين . ورأينا في جريدة زمان التركية التي تصدر في قبرص
 مقالات تحت عنوان الاتحاد الاسلامي ولم نظفر بمن يعربها لنا . وسرى السر
 من الجرائد المصرية الى جريدة معلومات العربية في الاستانة العلية والى
 جريدة ثمرات الفنون في بيروت فكتب فيهما مقالات كثيرة في الموضوع
 ولو سمحت لهما حكومة البلاد لتوسعا في الكتابة ثم اصاب الرشاش غيرها
 من الجرائد الاسلامية في الديار السورية أما الجرائد الهندية فكثير ما كتبت وقد
 ترجم بعضها كثيراً من مقالات المنار وكذلك جريدة الحاضرة التونسية .
 والحاصل ان أكثر الجرائد الاسلامية قد خاضت في مسألة الاجماع الاسلامي
 من نحو سنة او اكثر ولم تكن تذكر قبل ذلك الا نادراً على ما علمت من
 صدر هذه المقالة وفي هذين الاسبوعين كتب فيها الاهرام بعنوان (الجامعة
 الاسلامية) ثم كتب المقطم وناقشهما المؤيد فيما كتبنا - هذا ملخص تاريخ
 الكلام في هذه المسئلة بحسب ما وصل اليه علمنا وبلغنا ان رجلاً عظيماً
 من فضلاء مسلمي القريم في بلاد روسيا اسمه اسماعيل بك قد أنشأ جريدة
 سماها (ترجمان) جعل مباحثها في الشؤون الاسلامية وأنشأ مدرستين
 لتربية ابناء المسلمين وتعليمهم في تلك البلاد ولم نقف على شيء من اعماله
 ولكن رأيت المطرية تدل على ان عمله عظيم

أما الطرائق التي بحث فيها الكتاب فهي كثيرة ولم ننجل للناس الطريقة
 المثلى بقول احد اذ ما من قول الا وله وجه يعتمد عليه قائله وما من شبهة على
 فساد رأي الا واصحابها نكأة يستند عليها في تقويتها والامر في نفسه اكبر
 من كل هؤلاء الكتاب وكيف لا وهو ترقية امة يبلغ عددها ثلاثمائة مليون

من النفوس يتبوؤن كل قطر وينطقون بكل لغة وحكامهم من انفسهم ضعفاء ومن الاجانب عنهم اقوياء. وأضعفهم هذا الفقير قد اشغل بدراسة هذه المسئلة بضع سنين وهو في كل يوم يزداد بها علما لم يكن عنده ويزيح جهلا كان يغشاه - ان لم يكن في اصولها وقواعدها في جزئياتها وشواردها. وما يقف عليه الانسان في سنين لا يمكن ان يجليه لمن لم يقف عليه في مقالة او عشر مقالات (مثلا) بحيث يؤدي اليه فكره ووجدانه تامين بتلك المقالات ولكن الميزان الذي يجب ان نزن به الاقوال والآراء لنعلم النافع منها والغير النافع هو ان ننظر فيما يعرض علينا فما كان منها مقومًا لفكره وصحاحا لرأي او اعتقاد فهو نافع وما كان منها مرشداً الى عمل مفيد ممكن فهو نافع وما عدا هذين النوعين فهو اما خيالات وأوهام واما غش وتقرير واقل ضرر فيه انه حجاب على وجه الحقيقة وتعليل الآمال بما لا ينال وازاغة للقلوب عن صراط الحق ومن انحرف عن الصراط المستقيم فهو يزداد بعداً عن الغاية كلما جد في السير وأي خذلان أكبر من كون سعي المرء واجتهاده مبعداً له عن غايته ومراده؟ لا يعرف الحق بقائله وكونه صديقا او عدواً ولا بكونه يستلزم تعظيم كبير ومرضاته او عدم ذلك وإنما يعرف الحق بذاته فمن رعى هذا حق رعايته رجي له التمييز بين الحق والباطل والتزييل بين النافع والضار. فاحفظ هذا الميزان وانظر ما يرجح فيه مما سيقى عليك من الآراء والاقوال الا هرام والمقطم. منتقتان على ان الدعوة الى الجامعة الإسلامية باسم الدين مضرة وغير موصلة الى الغاية وانه لا سبيل الى ترقى الامة الإسلامية الا باتباع خطوات اوربا كما فعلت اليابان. والمؤيد رد عليهما قولهما الاول ولم بيد رأيا جديدا الا انه وافق على ان مسلك الكتاب المسلمين في الدعوة الدينية

مفيد كما ان الاخذ بالفنون والصنائع الاوربية مفيد مع ذلك و ذكر في كلامه عن الجامعة الاسلامية ، مقالة لبعض افاضل كتاب الهند نقلت في المؤيد من نحو شهر و ذكر انه موافق على كل ما جاء فيها وخصص بالذكر اقتراح عقد مؤتمر اسلامي في دار الخلافة العظمى وقال ان المؤيد كان قد سبق الى اقتراح هذا المؤتمر منذ اربع سنين . ومن الآراء التي ثناقتها الكتاب ، فكانت مسلمة عند أولي الالباب . تعميم التربية والتعليم . انشاء الجمعيات والشركات والمنتديات العلمية والادبية . تكثير الجرائد باللغات التي ينطق بها المسلمون . اتحاد الحكومات الاسلامية . العناية بامر القوة الحربية . تعليم النساء بخصوصهن . ومهما تخالفوا وناقشوا فلكل وجه وقد جمعنا بين الاقوال في مقالة نشرت في المؤيد حديثاً . ولكن قد ظهر في المقطع قول جديد في مقالة نسبت الى (مسلم حر الافكار) لم يتابع به قائله مسلماً ولن يتابعه عليه مسلم لانه ناسف لبناء الدين الاسلامي ومقوض لعمود بنائه وهو زعم ان الدين والدولة أمران متبائنان يجب ان يفصل احدهما عن الآخر . ولقد وجد للاسلام اعداء اجتهدوا في كل عصر بمحوه او اضعافه منهم من طاول افساد العقائد بالتأويل ومنهم من وضع الاحاديث الكاذبة ومنهم من سهل " لوك طريق الاستبداد ومنهم ومنهم واجم كن مجموع مفاسد ومضراتهم لن تبلغ بعض ما يرمى اليه هذا القول الخبيث الذي لم يخطر في بال ابليس فهو باغ قول يشير الى احكم رأي لمحو السلطة الاسلامية من لوج الوجود . اتل الله قائله ولا اكثر فيمن يدعون الاسلام من امثاله وكثير مقالاتنا التي صدرنا بها العدد الماضي رداً عليه ولدينا مزيد

هذا . اذا . ذنت ساء الآراء بالميزان الذي تمضيته انما نظهر

الراجع والمرجوح من سائر الأقوال - يظهر لك ان من تلك الآراء ما لا يقوم رأياً واعتقاداً ولا يرشد الى عمل نافع يرجى القيام به وذلك كعقد مؤتمر في الاستانة العلية على ان المشاركون قد اقترح في مقالات (الاصلاح الديني) (التي نشرت في اوائل شعبان من السنة الماضية) تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون مقرها في مكة المكرمة ولها شعب في سائر البلاد الاسلامية وجرادة مخصوصة او جرائد وبيناها هناك وجوه ترجيح مكة على الاستانة كما بينا اصول وظائف الجمعية وأعمالها ونتائجها . أما الاصول فهي التوحيد في العقائد والتعاليم الادبية التهذيبية والاحكام القضائية والمدنية واللغة وأما الاعمال فأهمها تلافي البدع والتعاليم الفاسدة واصلاح الخطابة والدعوة الى الدين وأما نتائجها فأهمها اتحاد الحكومات الاسلامية وكل قول فضلناه تفصيلاً

وإذا ارتقينا في الاسباب وسبرنا اعماق الاقوال والآراء ننتهي الى القول بان سبب النهضة الذي يجمع الاسباب كلها هو تعميم التربية العملية والتعليم الصحيح من الوجهة الدينية الجامعة لمصالح المعاش والمعاد - وهو ما صرحنا به في فاتحة العدد الاول من المنار وأقننا عليه البرهان في العدد الثاني وجرينا في سائر الاعداد الى الآن على تفصيل اجماله وبيان ابهامه - (خلافاً لما قاله مصباح الشرق) واكبر عقبة امامنا في هذا الطريق هي ندرة الرجال القادرين على التعليم الذي نريده والتربية التي نبتغيها ومع ندرتهم لا تعرف الامة قيمتهم ولا تنيظ بهم ما خلقوا لاجله . فالجامعة الاسلامية والاتحاد الاسلامي وكل ما يرجوه الاسلام متوقف على وجود الرجال العارفين بحاجة الامة واناطة الاعمال بهم - فنسأل الله تعالى ان يكثر فينا من امثالهم - وينفع امتنا بعلومهم واعمالهم -